مقدمة

إن الحمد لله نحمده تعالى ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتدي، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله عز وجل، وخير الهدي هدي محمد، صلى الله عليه آله وسلم وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار.

إن من رحمة الله عز وجل بعباده، أن علمهم دين الإسلام، وعلمهم الدعاء، الذي هو باب عظيم من أبواب هذا الدين، فقد حثنا الله عز وجل على أن ندعوه ولا نكون من المتكبرين المعرضين الغافلين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ** ﴾ [غافر: ٦٠].

بل أمرنا أن نكون من المؤمنين المجيبين الراشدين فقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ** ﴾ [البقرة: ١٨٦] فمن قام بالدعاء، فقد استجاب، ومن استجاب، فقد سعد سعادة الدنيا والآخرة، وصلح قلبه، وانشرح واستنار بنور الله عز وجل، وكانت حياته طيبةً مثمرة بالخير والسعادة.

قال الإمام الخطابي – رحمه الله –: أول ما يدعى به ويستعمل منه ما صحت به الرواية، عن رسول الله ﷺ، وثبت عنه الأسانيد الصحيحة. وباب الدعاء مطية مظنة للخطر، وما تحت قدم الداعي دحض، فليحذر فيه الزلل، وليسلك منه الجدد، الذي يؤمن معه العثار، وما التوفيق إلا بالله عز وجل(١).

(١) شأن الدعاء، صـ ٣٢ .

ومن يتأمل الأدعية المأثورة التي جاءت في كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ يجد فيها الجمال والكمال والوفاء بتحقيق المطالب العالية، والمقاصد الرفيعة، والخير الكامل في الدنيا والآخرة، مع السلامة فيها، والأمان من الوقوع في الخطأ والزلل، فهي معصومة من ذلك، لأنها وحي الله وتنزيله(١).

وقد حثنا النبي ﷺ على الدعاء فقال: «**ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة**» (رواه الترمذي وغيره).

فما دام أن الله عز وجل، قد حثنا في كتابه الكريم والنبي ﷺ في السنة المطهرة، فما بالنا لا ندعوا، أهي الغفلة والعياذ بالله، أم الذنوب والمعاصي، أم الجهل بالله وبدينه ونبيه عليه الصلاة والسلام، أم ماذا؟ أم أننا ندعوا، فلا ندعوا بالمشروع من الدعاء، فلا يقبل منا، أم أننا ندعوا ولا ندري بماذا ندعوا فلا يستجاب لنا؟ أم ما هو الحل لذلك والمخرج؟

إن المخرج هو أن نقبل على الله عز وجل بقلوبنا وجوارحنا، وأعمالنا، وأن ندعوه مخلصين، وأن نرجوه مستغيثين، وأن نفر إليه خائفين، نرجوا رحمته ونخاف من عذابه، فنتعلم علم الكتاب والسنة، على ما كان عليه

(١) فقه الأدعية والأذكر للشيخ عبد الرزاق البدر، صـ ٦١ .

سلف الأمة، وأن ندعوا الله الكريم، بما جاء في كتابه المبين، وبما جاء في سنة نبيه الأمين ﷺ، فإن ما أصاب الأمة اليوم، وظهرت عليها الفتن والمصائب، لهي دواعي شر على الناس وهم عن دعاء ربهم غافلون، وفي طلبه زاهدون، وفي غيهم يعمهون، وإلى الدنيا يرغبون، والآخرة لا يتذكرون، فتركوا الطيب من القول والعمل، وذهبوا إلى الخبيث والسيئ من القول والعمل، إلا من رحم الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣]، وإني أدعو نفسي والمسلمين أجمعين أن نعمل بالطيب، نقول الطيب حتى نكون من الطيبين، فيقبلنا الله سبحانه وتعالى في الطيبين لأنه لا يقبل إلا طيب وإن من أطيب الأشياء وأعظمها طيبة الدعاء الذي كانوا يدعو به، أطيب الخلق، ﷺ، وهو كثير وكثير، أنزله الله على محمد ﷺ وعلمه، وأمره أن يعلم الأمة، ولكني أذكر في هذا الكتاب المتواضع، الذي أسأل الله عز وجل، أن يجعله خالصًا لوجهه الكريم، وأعوذ به أن أشرك به شيئًا أعلمه واستغفره لما لا أعلمه، وأعوذ به من الرياء والنفاق، وأسأله سبحانه وتعالى أن يجعل له القبول، وأن ينفع به جميع المسلمين، وأن يجعله حجابًا لنا ولهم من النار.

وإن هذا الكتاب هو شرح لحديث عظيم، ودعاء

طيب، دعى النبي ﷺ ربه به فحوى فيه أدعية كثيرة، وكلما طيبة، بل وأطيب شيءٍ في الدنيا وأطيب شيء في الآخرة كما قال الإمام ابن القيم – رحمه الله تعالى – في إغاثة اللهفان (١ / ٢٨) ط دار المعرفة.

(فجمع في هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شيء في الدنيا وهو: « الشوق إلى لقائه، سبحانه »، وأطيب شيء في الآخرة وهو: « النظر إلى وجهه سبحانه، . . . » ا.هـ.

وبما أنه قد اهتم بهذا الحديث النبي ﷺ، وطلب من ربه عز وجل، أموراً عظيمة ستراها بإذن الله عز وجل في طيات هذا الكتاب.

كذلك كان اهتمام الصحابة رضي الله عنهم، بذلك، فقد كان عمار يأتي به حتى سأله الناس؟ فأخبرهم، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يأتي به، فأخذوه عنه، وأخذه عنهم مَنْ وراءهم، فكتبوه، ونشروه، في كتبهم، وتناقلوه، من تلك العصور إلى اليوم، وهذا يدل على حفظه، والعناية به.

فهو موجود في كتب العقائد الكثيرة، وكذلك في كتب الحديث المسندة، وفي كتب الزهد والرقاق، فدل ذلك على أنه قد وجد عناية فائقة، من أهل العلم، سلفًا وخلفًا.

وقد كان شيخنا أبو الحسن مصطفى بن إسماعيل المأربي السليماني، حفظه الله تعالى، يدرس كتاب، الداء والدواء للإمام ابن القيم رحمه الله تعالى، فحث إخوانه طلبة العلم على حفظ هذا الحديث، وقال: هذا حديث عظيم حوى أموراً طيبة. وهذا في سنة ١٤١٧ هـ تقريباً.

والحامل لي على الإهتمام به هو: أني كنت اقرأ في كتاب إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، للإمام ابن القيم - رحمه الله تعالى، فوجدت اهتماماً في شرحه من ابن القيم رحمه الله تعالى، فعزمت مستعيناً بالله عز وجل، ومتوكلاً عليه، أن أجمع تخريجه، وشرحه في كتاب يقرب فوائده ومعانيه، حتى يكون قريب التناول من العلماء وطلبة العلم، ومن وفقه الله للخير، والهداية. (وقد أجمع العارفون على أن كل خير فاصله بتوفيق الله للعبد، وكل شر فاصله خذلانه لعبده، وأجمعوا أن التوفيق أن لا يكلك الله إلى نفسك، وأن الخذلان هو أن يخلي بينك وبين نفسك، فإذا كان كل خير فاصله التوفيق وهو بيد الله لا بيد العبد، فمفتاحه الدعاء والافتقار وصدق اللجأ والرغبة والرهبة إليه، فمتى أعطى العبد هذا المفتاح فقد أراد أن تفتح له، ومتى أضله عن المفتاح بقي باب الخير مرتجًا دونه ... وما أتى من

أتى إلا من قبل إضاعة الشكر وإهمال الافتقار والدعاء) اهـ[١]. فأسأل الله عز وجل، أن يجعله حجابًا لي ولمشائخي ووالدي وأولادي من النار.

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

كتبه

أبو نوح عبد الله بن محمد الخباني

(١) الفوائد لابن القيم رحمه الله، صـ ١٢٧ – ١٢٨ .

obeikandl.com